﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ٧٣﴾ [الزمر: 73]

❁ مناسبةُ الآية لما قبلها:

الانتقالُ من سَوقِ الكافرين إلى ذِكر سوقِ المؤمنين

لما ذكرتِ الآياتُ السّابقة أحوالَ الكافرين؛ ناسبَ ذِكر أحوال أضدادِهم فقال سبحانه: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾، وسوقُهم إلى المكان الطَّيب يدلُّ على أنَّ موقفَهم كان طيِّبًا؛ لأنَّ مَن كان في أدنى نكدٍ، ودُعي إلى مكان هنيءٍ، لا يحتاج في الذَّهاب إليه إلى سوق، فشتّان ما بين السَّوقين! هذا سوقُ إكرام، وذاك سوقُ إهانةٍ وانتقام، ولمّا كان هذا ليس لجميع السُّعداء بل للخُلَّص منهم؛ دلَّ على ذلك بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾، أي: الَّذين كلَّما زادهم إحسانًا؛ زادوا له هيبةً وتعظيمًا[1].

❁ شرح المفردات:

1) ﴿سَلَٰمٌ﴾: (سلم) مُعظَمُ بابِهِ مِنَ الصِّحَّةِ والعافيَةِ، ويَكونُ فيهِ ما يَشِذُّ، والشّاذُّ عَنهُ قَليلٌ، فالسَّلامَةُ: أن يَسلَمَ الإنسانُ مِنَ العاهَةِ والأذَى، والسَّلامُ هوَ اللّهُ جَلَّ ثَناؤُهُ، ودارُهُ الجَنَّةُ، قالَ اللّهُ ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: 25]، قيلَ للجنَّة: دارُ السَّلام؛ لأنَّها دارُ السَّلامَةِ مِنَ الآفاتِ[2]، ومِنَ البابِ الإسلامُ، وهوَ الانقيادُ؛ لأنَّهُ يَسلَمُ مِنَ الإباءِ والامتِناعِ، والسِّلامُ: المُسالَمَةُ، وفِعالٌ تَجيءُ في المُفاعَلَةِ كَثيرًا نَحوَ القِتالِ والمُقاتَلَةِ[3]، والمقصودُ في الآيةِ الدُّعاءُ لهم بأن يسلموا من جميعِ المكارِهِ والآلام[4].

(1) البقاعي، نظم الدرر: 16/ 566.
(2) ابن الأثير النهاية: (سلم).
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (سلم).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 264.

2) ﴿طِبْتُمْ﴾: (طيب) أصلٌ واحِدٌ صَحيحٌ يَدُلُّ عَلى خِلافِ الخَبيثِ، مِن ذَلِكَ الطَّيِّبُ: ضِدُّ الخَبيثِ[1]، والطَّيِّبُ: الحلالُ، وطاب الشَّيءُ: زكا، وطهر، وجاد، وحسن، ولذَّ، وصارَ حَلالًا، وطابت نفسُهُ بالشَّيء: وافقها، وارتاحت إليه، أو سمَحَت بِهِ، وعنهُ نفسًا: تَركَهُ[2]، وطوبى: فُعلَى مِنَ الطّيبِ، والمعنَى: العيشُ الطَّيّب[3]، ومعنى ﴿طِبْتُمْ﴾: طهرتم مِن دَنَسِ المعاصي، أو طِبتُم نَفْسًا بما أُتيح لكُم مِنَ النَّعيم[4].

❁ المعنى الإجماليُّ:

الجنَّةُ دارُ المتَّقين ومنتهى أملِ المؤمنين

تُبيِّن الآيةُ الكريمة - بعد بيانِ مصيرِ الكافرين - ما سيُساق إليه المتَّقون في الآخرة على هيئةِ جماعاتٍ مرتَّبة حسب ترتُّب طبقاتِهم في الفضل؛ إذ يُحشَر الَّذين اتَّقوا ربَّهم - بأداء فرائضِهِ، واجتناب معاصيه في الدُّنيا، وأخلصوا له فيها، فلم يشركوا في عبادتِهم - إلى الجنَّة جماعاتٍ، فكان سوقُ هؤلاءِ إلى منازلهم مِنَ الجنَّة وفدًا على نجائبَ مِن نجائبِ الجنَّة، حتى إذا جاؤوها، وشُفِعَ لهم بدخولها؛ فُتِحَت أبوابُها، فترحِّب بهم الملائكةُ الموكَّلون بالجنَّة، ويُحَيّونهم بالبِشر والسُّرور؛ لطهارتِهم مِن آثارِ المعاصي قائلين لهم: ﴿سَلَمٌ عَلَيْكُمْ﴾ من كلِّ آفةٍ، طابت أحوالُكم، فادخلوا الجنَّة خالدين فيها[5]. وترشدُ الآيةُ الكريمة إلى أنَّ التَّقوى سببٌ لدُخول الجَنَّة، وإلى أنَّ الجَنَّة دارُ السَّلام، السَّلام مِن كلِّ آفَةٍ، وأنَّ اللّه جمَع لأهْلِ الجَنَّة بين السَّلامة مِنَ الآفات وطيب الأحوال والأوقات، وإلى أنَّ الإذْنَ لهم بدُخول الجَنَّة يكونُ على وجهِ الإكرام[6].

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (طيب).
(2) ابن سيده، المحيط: (طاب).
(3) الأزهري، تهذيب اللغة: (طيب).
(4) أبو السعود، إرشاد العقل السليم: 7/ 264.
(5) السعدي، تيسير الكريم الرحمن، ص: 730.
(6) العثيمين، تفسير سورة الزمر، ص: 502 - 503.

❁ الإيضاح اللُّغويُّ والبلاغيُّ:

دلالةُ العطفِ البلاغيَّة:

إظهارُ التَّقابل الضِّدّي في مآلاتِ المختلفين

عطفتِ الواو قولَهُ تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ﴾ على ما قبلَها؛ ليكتملَ التَّقابل بين الفريقين: فريقِ الجنَّة وفريق الجحيم، فهذا العطفُ يقتضي التَّوحيد في المشاركة؛ لذا اقتضى التَّقابل بين المصيرين، مع ما يبرزُهُ مِنَ الاختلاف بين الجزاءين: العذابِ والهوانِ مقابل النَّعيم والكرامة، والعطف يُبرز أنَّ الجميعَ يُساقون أمامَ اللّه، سواءٌ إلى الجنَّة أم النار، ممّا يعزِّز رهبةَ الموقف، وهيبة يوم القيامة، مع اختلافِ الأحوال بين ذلِّ الكافرين وفرح المتَّقين، وهو يوضِّح بيانَ عدلِ اللّه تعالى، الذي يُجازي كلَّ فريقٍ بما يستحقُّه.

بلاغةُ المشاكلةِ في مفردةِ (سيق):

تومِئُ المشاكلةُ إلى الفرقِ بين النِّهايتَين مع تشابُهِ البدايتين

سبقَ بيانُ أنَّ السَّوقَ يكون بعنفٍ وإذلالٍ لأهل النّار، وهنا أُطلِقَ على تقدمة المتَّقين إلى الجنَّة فعلُ السَّوق على طريقةِ المشاكلة لفعل (سيقَ) الأوَّل، والمشاكلةُ من المحسِّنات، وهي عند التَّحقيق مِن قبيل الاستعارةِ الَّتي لا علاقة لها إلّا المشابهة الجمليَّة الَّتي تُحمل عليها مجانسة اللَّفظ[1]، وفي هذه المشاكلةِ تفويضُ الأمرِ للّه تعالى، فهو العالمُ بمصير المُساقين على الحقيقةِ في شأنِ الجميع، وهذا مِن بدائع أنواع البديع، وهو أن يأتيَ سبحانه بكلمة في حقِّ الكفّار، فتدلُّ على هوانِهم بعقابِهم، ويأتي بتلك الكلمةِ بعينها وهيئتها في حقِّ المؤمنين، فتدلُّ على إكرامِهم بحسن ثوابهم، فسبحان مَن أنزله معجزَ المباني ومتمكِّنَ المعاني عذْبَ الموارد والمثاني[2]!.

نكتةُ التَّعبيرِ بصيغةِ السَّوق:

التَّعبيرُ بصيغة ﴿وَسِيقَ﴾ تدلُّ على حتميَّة السَّوْق، مع المبالغة في

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 71.
(2) الخطيب، السراج المنير: 3/ 463.

الحفاوة والإكرام والتَّشريف، ممّا يعكس المشهدَ العظيم للمتَّقين، وهم يمضون موفدين إلى الجنَّة في زمَرٍ مهيبةٍ مشرِّفةٍ، وتضفي صيغة المبني للمفعول عظمةً وجلالًا على المشهد، وتُبرز أنَّ الملائكةَ مأمورون بسوق المتَّقين واصطحابِهم إلى دار السَّلام؛ تكريمًا لهم وسرورًا بهم، دون التَّصريح بالفاعلِ أو الآمر؛ لأنَّ العِبرةَ في السَّوقِ.

العِبرةُ في معرفةِ مآل المؤمنين لا في ذكرِ الفاعلِ

غرضُ التَّعبيرِ بالاسم الموصول:

آثرَ النَّظمُ الكريم التَّعبيرَ بالاسم الموصول ﴿ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ دون الاسمِ الظّاهرِ (المتقون)؛ لبيانِ سببِ سوقِهم إلى الجنَّةِ، وهي التَّقوى، لتُقابِلَ ذِكرَ سببِ إيراد الكافرين النّار.

لطيفةُ استعمالِ عنوانِ الرُّبوبيَّة:

أُضيفَ لفظُ الرُّبوبيَّة إلى الضَّمير العائد على المتَّقين في قولهِ تعالى: ﴿ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ﴾؛ لتشريف المتَّقين وتكريمهم بهذه الإضافة، فهو ربُّهم الَّذي يؤمنون به، ويعبدونه، ولتقع المقابلةُ بين مَن آمن بربِّهِ، واتَّقاه، فسيق إلى الجنَّة، وبين مَن كفر بربِّه، فعاندَ، وجحدَ، فسيق إلى النّار، فنال تقريعًا وتوبيخًا وتبكيتًا.

تشريفُ المتَّقين يُقابل تقريع الكافرين

معنى تعريف لفظِ ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾:

تعريفُ لفظ ﴿ٱلۡجَنَّةِ﴾ للعهد الذِّهني، فهي تلكمُ الجنَّة المعروفة الَّتي هي جنَّة النَّعيم الأبديَّة الَّتي وعد الله بها المؤمنين، ودلالة الألف واللّام في هذا السّياق تأتي مقصودًا بها التَّخصيص والتَّعريف، وإضافة الفخامة والعظمة؛ لتظهرَ وكأنَّها جنَّةٌ خاصَّة لا مثل لها وهي كذلك، كيف لا؟ وهي دارُ ثوابِ المؤمنين وجزاؤهم في الآخرة.

الجنَّةُ غاية العبد الفالح ومآلُ العملِ الصالح

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿زُمَرٗاۖ﴾:

نُكِّر لفظُ ﴿زُمَرٗاۖ﴾؛ لِتَفخيمِ حالِ جماعات المتَّقين عند سوقهم إلى الجنَّة، وتفخيم أمرهِم لدى السّامع، فيرجو أن يكون معهم في ذلك اليوم المشهودِ.

دلالةُ استعمال ﴿حَتَّىٰٓ﴾:

تشويقُ المُخاطَبين وترقُّب المؤمنين لمعرفةِ الغاية

يأتي السّياقُ القُرآنيُّ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾، معبِّرًا عن انتهاء مشهدِ السَّوق بـ ﴿حَتَّىٰٓ﴾ المفيدة للغاية[1]، معلنةً الانفصالَ التّام عن مشاهد القيامة، ومسدِلةً السِّتارَ على ذلكم العناء والكبد، الذي تحمَّله المؤمن في سبيل اللّهِ تعالى؛ ليُدخَل مكرَّمًا إلى دار الكرامةِ الجنَّة، ممّا يحملُ على التَّشويق والتَّرقُّب، وتصوير المؤمنين، وهم يسيرون نحو الجنَّة يُشعل في النَّفس حماسًا، وشوقًا لرؤية النَّتيجة النِّهائيَّة، وهي دخولها، وكأنَّ التّالي لهذه الآيةِ تتوق نفسُهُ لمعرفة تلك العاقبةِ، وهو في تركيز شديدٍ على اللحظةِ الحاسمة باستخدام ﴿حَتَّىٰٓ﴾ تحديدًا للحظة الفتح البهيجة، الَّتي هي قمَّة الجزاء.

فائدةُ استعمالِ أداةِ ﴿إِذَا﴾:

تأكيدُ يقينيَّة وقوعِ الحدثِ

آثرَ النَّظم الكريمُ استعمالَ أداة ﴿إِذَا﴾ في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾، دون (إن) لما تحملُهُ مِن دلالةٍ ظرفيَّةٍ ويقينٍ على وقوع الحدث، وهي تفيدُ تحديدَ زمنِ تحقُّق الشَّرطِ، وهو (المجيء)، ممّا يدلُّ على حتميَّة وقوعِ الحدث، بخلاف (إن) الَّتي تدلُّ على الاحتمال، فاختيارُ ﴿إِذَا﴾ يتناسب مع السّياق الَّذي يهدف إلى تأكيد يقينيَّة وقوعِ المشهد، ومجيءُ أبوابِ الجنَّة.

وجهُ تعدية فعلِ المجيء بنفسِهِ:

آثرَ النَّظْمُ الكريم في قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ أن يتعدَّى فعل (جاء) إلى المفعولِ به بنفسِهِ؛ لبيانِ غاية المجيءِ، وأنَّه إنَّما كان لأجلِ الجنَّة الَّتي وُعِدوها.

نوعُ الواوِ ودلالتها:

اختلف النّاسُ في شأنِ الواو في قوله تعالى: ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ على

(1) المرادي، الجنى الداني، ص: 372.

أقوالٍ، فأدنى الأوجه للبلاغةِ وحسن النَّظم والبيان أن تكونَ حاليَّة، أي: جاؤوها، وقد فُتِحت لهم أبوابُها، ونظيرُ ذلك قولُهُ تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ۝٥٠﴾ [ص: 50]، وهو يُشعرُ بتقدُّم فتح الأبواب على مجيئهم، كما تفتحُ الخدمُ بابَ المنزلِ للمدعوِّ للضّيافة قبل قدومه، ويقف أصحابُ المنزل منتظرين قدومَهُ، ولا يبعد كونها للعطف[1]، على أن يكونَ المعطوف عليه محذوفًا، أي: سُعِدوا وفُتِحَت[2]، وما قيل مِن أنَّها واو الثَّمانية، وهو ما وقع في كلام بعض النَّحويّين؛ فقولٌ ضعيفٌ لا يقوى[3]، ومثله القول بالزّيادة.

تفتيحُ أبوابِ الجنَّة قبل مجيءِ أهلها مُشعرٌ بالحفاوة والإجلالِ

فصاحةُ حذفِ جوابِ الشَّرطِ:

جواب الشَّرطِ في قولهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ يحتمل ثلاثةَ أوجهٍ، أن يكونَ (فُتحت)، وذلك على اعتبارِ الواو زائدةً، فتكون هذه الآية نظيرَ آيةِ سوق الكافرين، أو أن يكونَ جوابُ الشرط: ﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَا﴾، أي: حتّى إذا جاؤوها؛ قال لهم خزنتها[4]، أي: جاؤوها، فوجدوا أبوابَها مفتوحةً، أو أن يكونَ الجواب محذوفًا، يقدَّرُ باطمأنّوا، أو سُعِدوا، ويُقدَّر بعد ﴿خَٰلِدِينَ﴾، وجملة ﴿وَفُتِحَتۡ﴾ حالٌ منصوبٌ، وذلك للإيذان بأنَّ لهم حينئذٍ مِن فنونِ الكرامات ما لا يحيط به نطاقُ العِبارات، كأنَّه قيل: إذا جاؤوها مفتَّحةً لهم أبوابُها، فلم يُذكرِ الجواب مباشرةً لإبراز عظمة النَّعيم وسرور أهل الجنَّة؛ إيجازًا للمعنى دون الإخلالِ بالدَّلالة، وللتَّناسب مع الموقفِ[5].

ما لا يُحيطُ به الوصفُ يُترك بلا وصفٍ

فجاءَ التَّعبيرُ بالجملة الشَّرطيَّة في قولهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا﴾ محذوفَ الجوابِ؛ لأنَّ الحذفَ أبلغُ، قال سيبويه: سألت

(1) الأحنف، البستان: 2/ 370.

(2) ابن الشجري، أمالي ابن الشجري: 1/ 358، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 285.

(3) ابن هشام، مغني اللبيب، ص: 474، والمرادي، الجنى الداني، ص: 167، والسيوطي، همع الهوامع: 3/ 191.

(4) السمين، الدر المصون: 9/ 477، والآلوسي، روح المعاني: 12/ 288.

(5) الآلوسي، روح المعاني: 12/ 288.

الخليلَ عن قوله جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾ أين جوابُها؟ فقال: إنَّ العربَ قد تترك في مثل هذا الخبرِ الجوابَ في كلامهم؛ لِعِلْمِ المُخْبَرِ لأيِّ شَيءٍ وُضِعَ هذا الكلامُ[1]، فتُرِكَ للمخاطَب تقديرُ الجواب لعلمه به؛ لأنَّه لا تُماري نفسُهُ في معرفته، وثباته تصديقًا بوعد الله تعالى، ودلَّ بحذفِهِ على أنَّه شيءٌ، لا يُكتنه، ولا يحيط به الوصف[2]، وإنَّما صار الحذفُ في مثل هذا أبلغَ مِن الذِّكْرِ؛ لأنَّ النَّفس تذهبُ فيه كلَّ مذهبٍ، ولو ذُكِرَ الجوابُ لقصر عن الوجهِ الَّذي تضمَّنه البيانُ[3]، فحَذْفُ الجواب في مثل هذه المواضع أفْخَمُ؛ لأنَّ المخاطبَ يَتَوَهَّمُ كُلَّ شيءٍ، فإذا ذُكِرَ شيءٌ بعينِه؛ حَضَرَهُ فَهْمُهُ[4].

غرضُ بناء الفعل للمفعول:

بُنِي فعلُ الفتحِ للمفعول في قولِهِ تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ الحدث وحصولِهِ وأنَّه أولى بالذِّكرِ ورعاية الذِّهن مِن ذكرِ مَن فتحه.

نوعُ الواوِ ودلالتُها:

الواو في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ عاطفةٌ، ودلَّت على أنَّ هناك تتابعًا للأحداث، ولقاءً بين الذين اتَّقوا ربَّهم وخزنة الجنَّة؛ إذ يأتي المشهدُ في سياقٍ متسلسل؛ ليُشيرَ إلى ما بعد دخول المؤمنين الجنَّة؛ إذ يتلقّون كلماتِ التَّرحابِ مِن خزنة الجنَّة بعد أن وصلوها، وفي ذلك تأكيدُ كلِّ جانبٍ مِن جوانبِ الرِّحلة الإيمانيَّة.

بعد دخول الجنَّةِ يقع التَّرحيب ويطيبُ القولُ الحسن

نوعُ اللّام ومعناها:

اللّامُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ المضافةُ للضَّمير

(1) سيبويه، الكتاب: 3/ 103، وبه قال المبرد، المقتضب: 2/ 77- 99، والزجاج، معاني القرآن وإعرابه: 4/ 364.

(2) درويش، إعراب القرآن: 8/ 449.

(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 121.

(4) الفارسي، التعليقة: 2/ 211.

العائد على تلك الكوكبة الدّاخلة للجنَّة، هي لام الاختصاص، وتدلُّ على أنَّ القولَ موجَّهٌ لأهل الجنَّة على وجه الخصوص.

نكتةُ تقديمِ شبهِ الجملةِ:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرورُ في قولهِ تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ على الفاعل؛ لإبراز اختصاص القولِ بتوجيههِ مباشرةً إلى أهل الجنَّة، لبيان كمال تكريمهم وتشريفهم.

فائدةُ التَّعبيرِ بالجملةِ الاسميَّة:

رسوُّ الطُّمأنينة والسَّلام في دارِ السَّلام

الجملةُ الاسميَّة ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ المكوَّنة من المبتدأ والخبر في محلِّ نصبٍ؛ لأنَّها وقعت مفعولًا به للفعلِ (قال)، وجعْلُ ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ جملةً محكيَّةً يُبرِزُ محتوى القول، ويجعلُهُ مباشرًا ومؤكَّدًا، ممّا يُشعِرُ المُتلقّي بوقوع السَّلام وطمأنينته، فهو يُقال لهم شخصيًّا، كما أنَّها تُفيد أنَّ السَّلام الَّذي يُلقى على أهلِ الجنَّة هو سلامٌ دائمٌ ومستمرٌّ، وليس مجرَّد فعلٍ عابرٍ يحدث مرَّةً واحدةً؛ وذلك أنَّ الجملةَ الاسميَّة تفيد الدَّوام والثَّبات[1].

نكتةُ تنكيرِ لفظِ ﴿سَلَٰمٌ﴾:

سلامٌ عظيمٌ متجدِّد يتلقّاه أهلُ الجنَّة

نُكِّر لفظُ ﴿سَلَٰمٌ﴾ للتَّفخيم؛ إفادةً لقصد التَّنويع والتوسُّع في المعنى؛ ليضفي على المشهد عمقًا بلاغيًّا وجمالًا معنويًّا، وليُشعر المُتلقّي بعظمة السَّلام، الَّذي يُلقى على أهل الجنَّة، وخصوصيَّته، وكماله المطلق، وليبرزَ الشُّموليَّة والتَّفخيم في السَّلام الموجَّه لأهل الجنَّة، وليظهر معنى التَّعظيم[2].

علَّةُ فصلِ جملة ﴿طِبْتُمْ﴾ عن السّابق:

آثرَ النَّظمُ الكريم مجيءَ الجملةِ في قوله تعالى: ﴿طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ مفصولةً عن سابقتها؛ لاختلافِهما خبرًا وإنشاءً، فجملةُ

(1) الفخر الرّازي، مفاتيح الغيب: 28/ 175.
(2) الزمخشري، الكشاف: 3/ 546.

تعزيزُ الشُّعور بالارتقاء في المكانة وازدحام كلمات التَّرحيب

﴿طِبْتُمْ﴾ إنشاءُ تكريمٍ ودعاءٍ[1]؛ إذ يشيرُ الفصل إلى الانتقال مِن حالةٍ إلى حالةٍ أخرى، ليعطي عمقًا أكبرَ، وأهمّيَّة لكلِّ جزءٍ من الكلام، ممّا يجعلُ الثَّناء والدَّعوة منفصلين، وإن كانا مترابطين في المعنى، كما أنَّ الفصل يُضفي إعلانًا ببراءتِهم مِنَ الذُّنوب ورضا الله عنهم[2].

بلاغةُ استعمالِ مفردة ﴿طِبْتُمْ﴾:

من طاب مِن دنس المعاصي طاب له النَّعيم في الجنَّة

آثرَ النَّظمُ الكريم أن يكونَ سياق خطاب الملائكة للمؤمنين بقوله: ﴿طِبْتُمْ﴾، وهذا الفعلُ تتجاذبه ثلاثةُ معانٍ، وهي: نعمتُم، وكرمتُم، وزكوتُم[3]، وهذه المعاني كلُّها صحيحٌ مراد، ويحتملُهُ اللَّفظ والسّياق، فجمعَ هذا اللَّفظُ المفرد هذه الوفرةَ من المعاني الكريمة، في نظْمٍ كريم، فالطَّيّب اسمٌ جامع لمعاني الطُّهر والسَّلامة والنَّعيم، ومفارقة الأضدادِ مِنَ الذُّنوب والمعاصي والخبائث والمِحَن، وهو إخبارٌ بما سيكون لهم في جنَّة الخُلد.

نوعُ الفاء ودلالتُها:

دخولُ الجنَّة مقرون بمَن مُنِحَ الطَّيب

الفاءُ في قولِه تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ إمّا أن تكونَ الفصيحةَ، فهي الَّتي تُفصحُ عن شرطٍ مقدَّرٍ يُفهم مِنَ السّياق، والمعنى: إذا طِبتم؛ فادخلوها[4]، ودلالتُها أنَّها تربط بين السَّبب والنَّتيجة؛ إذ إنَّ طهارتَهم واستحقاقَهم النَّعيم بسببِ أعمالِهم الصّالحة، وهو ما أدى إلى الأمرِ بدخولِهم الجنَّة، وهي تُبرزُ هذا التَّرابط بشكلٍ واضحٍ، وتُظهر النِّعمة الإلهيَّة بمنحهم الخلودَ في الجنَّة، وتحتمل أن تكونَ تعليليَّة[5].

(1) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 24/ 72.
(2) ابن الجوزي، زاد المسير: 7/ 202، والقرطبي، الجامع لأحكام القرآن: 15/ 286.
(3) الماوردي، النكت والعيون: 5/ 138.
(4) الدرة، تفسير القرآن الكريم: 8/ 297.
(5) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 8/ 449.

غرضُ الأمرِ ودلالتُه:

الأمرُ في قولِهِ تعالى: ﴿فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ جاءَ تعبيرًا عن منتهى التَّشريفِ والإكرام للمؤمنين، وليس الأمرُ تكليفيًّا بقدر ما أنَّه تشريفٌ للمخاطَبين، فهو دالٌّ على الإذنِ الإلهيِّ بدخول الجنَّة، كما أنَّه كنايةٌ عن الرِّضا الكامل عن المؤمنين.

الأمـرُ بـدخـولِ الجنَّة كنايةٌ عن الـرِّضـا الـكامل والاسـتـحـقـاق التّامِّ

فائدةُ الحالِ ﴿خَٰلِدِينَ﴾:

بعد أن نالَ أهلُ الجنَّةِ التَّشريف والتَّكريم، وخوطِبوا بالسَّلام، ونودوا بدخول الجنَّة ووراثتها، بُشِّروا بالخلودِ، في قولهِ تعالى: ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾، فلفظُ ﴿خَٰلِدِينَ﴾ جاء منصوبًا على الحال، وصاحبُ الحال واو الجماعة في ﴿فَٱدۡخُلُوهَا﴾، وهو يعود على أهل الجنَّة، وهذه الحالُ تصفُ أهلَ الجنَّة عند دخولهم الجنَّة، أي: إنَّهم يدخلونها في حال كونِهم مبشَّرين بالخلودِ فيها، ممّا يُعزِّز الشُّعور بالطُّمأنينة والفرح، فدخولُ الجنَّة كمال السَّعادة، فجمع لهم بين الدُّخول والخلود، في مشهدٍ مهيبٍ أضفى على التّالي للقرآن جمالًا وطمأنينة معنويَّة عميقة.

الانـتـقـالُ مِـنَ الـدُّخـول إلى الخلودِ تكميلٌ لـلـسَّـعـادةِ وتـتـمـيـمٌ للطُّمأنينة

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الحادي والخمسون،
سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 51 ، 822 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-642-97-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 51 : المجلد الحادي والخمسون، سورة الزُّمر من الآية 73 إلى سورة غَافِر الآية 76.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-642-97-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4644027 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»